

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطَّرِيقُ إِلَى شَرْحِ الصَّدْرِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَفْوُ الْغَفُورُ، سُبْحَانَهُ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا يَخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١)، وَإِلَيْهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ، أَحْمَدُهُ تَعَالَى بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ مِنَ الْحَمْدِ وَأَتْشِي عَلَيْهِ، وَأَوْمَنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَشْرَحُ الصَّدْرَ بِالإِيمَانِ، وَيُضَيِّقُهُ بِالْكُفْرِ وَالْعَصْيَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّداً عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، قَالَ لَهُ رَبُّهُ مُقْرِرًا وَمَذْكُرًا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدَرَكَ﴾^(٢)، وَعَلَى اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا عِبَادَ اللَّهِ:

الصَّدْرُ هُوَ الْجَارِهَ الْمَعْرُوفَهُ، وَهُوَ بِالنِّسْبَهِ لِأَيِّ شَيْءٍ مُقَدَّمهُ، وَيَعْبَرُ عَنِ القَلْبِ بِالصَّدْرِ لِحُلُولِهِ بِهِ، وَعَلَى هَذَا الْمَعْنَى جَاءَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبَدُّو يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾^(٣)، فَمَا يُخْفِيهِ النَّاسُ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ حُبٍّ أَوْ بُغْضٍ، وَمَنْ رِضاً أَوْ سُخْطٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْلَمُهُ، نَطَقَ بِهِ النَّاسُ فِي أَقْوَالِهِمْ، أَوْ عَبَرُوا عَنْهُ بِأَعْمَالِهِمْ، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ، خَبِيرٌ بِأَسْرَارِ النُّفُوسِ، بَصِيرٌ بِخَفَائِي الْقُلُوبِ. وَشَرْحُ الصَّدْرِ - عِبَادَ اللَّهِ - يَعْنِي بَسْطَهُ وَتَوْسِيعَهُ وَتَفْسِيهُ وَتَرْحِيبَهُ، وَأَيُّ عَمَلٍ صَالِحٍ جَلِيلٍ لَا يَتَّنَى إِلَّا بِشَرْحِ الصَّدْرِ، فَمَا عَمِلَ فِي الدُّنْيَا وَأَصَابَ مُتَشَكِّلٌ وَمُرْتَابٌ، وَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ وَسَعَ قَلْبَهُ وَرَبَطَ جَأْشَهُ وَطَمَأنَّ نَفْسَهُ. وَلِشَرْحِ الصَّدْرِ أَسْبَابٌ يَجِبُ تَحْقِيقُهَا، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَشْرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ حَفَظَ عَلَيْهَا، وَمَنْ أَعْظَمَهَا تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولُهُ ﷺ بِأَنْ يَقُولَ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَشُكْرِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِقِي لِلَّهِ رَبِّ

(١) سورة غافر / ١٩ .

(٢) سورة الشرح / ١ .

(٣) سورة آل عمران / ٢٩ .

العلمين ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَذَلِّكَ أَمْرُتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ^(١) ، وَإِذَا كَانَ شَرْحُ الصَّدْرِ نُورًا يَقْذِفُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ أَنْ يَقْذِفَ النُّورَ فِي كُلِّ جَوَارِحِهِ وَأَنْحَائِهِ ، فَهُوَ السَّائِلُ الْمُجَابُ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فَأَصَابَ : ((اللَّهُمَّ اجْعُلْ فِي قَلْبِي نُورًا ، وَفِي لِسَانِي نُورًا ، وَفِي بَصَرِي نُورًا ، وَفِي سَمْعِي نُورًا ، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا ، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا ، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا ، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا ، وَأَمَامِي نُورًا ، وَخَلْفِي نُورًا ، وَاجْعُلْ فِي نَفْسِي نُورًا ، وَأَعْظُمْ لِي نُورًا)). إِنَّ التَّوْحِيدَ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ، وَبِقَدْرِ كَمَالِهِ وَقُوَّتِهِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ انْشِرَاحُ الصَّدْرِ ، وَمِنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ امْتَلَأَ أَوْأَمَرَ اللَّهُ وَاجْتَبَ نَوَاهِيهِ ، وَرَضِيَ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ وَقَضَاهُ ، وَأَنْفَذَهُ وَأَمْضَاهُ ، وَعَلِمَ أَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبُهُ ، وَمَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْحَقَّ لَا يَضِيقُ صَدْرُهُ ، وَلَا يَضْعُفُ بِمَا يُصِيبُهُ ، أَمَّا الَّذِي يَرْفُضُ التَّوْحِيدَ وَيَعِيشُ عَلَى ظُلْمَةِ الْكُفُرِ وَيَرْضَى بِالذُّنُوبِ؛ فَإِنَّ صَدْرَهُ الضَّيْقَ لَا يَقْبِلُ إِلَّا مَا يُحَقِّقُ مَارِبَهُ ، وَيُنْجِزُ رَغَائِبَهُ ، وَمِنْ هُنَا يَقْسُوُ قَلْبُهُ وَيَعْتَلُ فُؤَادُهُ ، قَالَ تَعَالَى :

﴿فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ، فَوَيْلٌ لِلْقَسِيسَةِ قُلُوهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

عِبَادَ اللَّهِ :

إِنَّ الَّذِي يَطْلُبُ الْهِدَايَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا صَادِقًا ، لَا شَاكًا وَلَا مُرْتَابًا ، يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ذَلِكَ؛ فَيُسْهِلُ لَهُ طُرُقَهَا ، وَيُهِيئُ لَهُ أَسْبَابَهَا ، وَمِنْ ثَمَّ يَشْرَحُ اللَّهُ صَدْرَهُ وَيُوَسِّعُهُ لِقَبُولِ الْحَقِّ ، وَتَحْمِلُ كُلُّ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ عَزْفٍ عَنِ الْهِدَايَةِ وَطَلْبِ الْغَوَايَةِ عَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ ذَلِكَ؛ فَهِيَأَ لَهُ أَسْبَابَهَا ، وَفَتَحَ لَهُ أَبْوَابَهَا؛ فَضَاقَ صَدْرُهُ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ وَالْإِذْعَانِ لَهُ ، حَتَّى لَكَانَهُ يَتَكَلَّفُ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ وَمَا هُوَ بِقَادِرٍ ، وَاسْتَمْعُوا - عِبَادَ اللَّهِ - إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : «فَمَنْ يُرِدَ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَمِ وَمَنْ يُرِدَ أَنْ يُضْلِلَهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ»^(٣) ، وَقَدْ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : كَيْفَ

(١) سورة الأنعام / ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة الزمر / ٢٢ .

(٣) سورة الأنعام / ١٢٥ .

يُشَرِّحُ صَدْرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نُورٌ يُقْدَفُ فِيهِ فَيَنْتَشِرُ لَهُ وَيَنْفَسُ، قَالُوا: فَهُلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ يُعْرَفُ بِهَا؟ قَالَ: ((الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالْاسْتَعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ لِقَائِهِ)), إِنَّ الْإِنْسَانَ يَأْخُذُ نَصِيبَهُ مِنْ اشْرَاحِ الصَّدْرِ بِحَسْبِ مَا فِيهِ مِنْ نُورٍ إِلِيمَانٍ، وَكَمَا أَنَّ النُّورَ الْحَسِيَّ يَشَرِّحُ الصَّدْرَ؛ فَإِنَّ النُّورَ الْمَعْنَوِيَّ - وَهُوَ الإِيمَانُ - يَشَرِّحُهُ أَيْضًا، وَكَمَا أَنَّ الظُّلْمَةَ الْحَسِيَّةَ تُضَيِّقُ الصَّدْرَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَةَ الْمَعْنَوِيَّةَ وَهِيَ ظُلْمَةُ الْكُفْرِ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - تُضَيِّقُهُ. إِنَّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي اطْمَآنَ قَلْبُهُ بِالْإِيمَانِ لَا يَضِيرُهُ أَنَّ يَقُولَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ لَفْظًا إِنْ أَكْرَهَ عَلَيْهَا، لَأَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ أَكْرَهُوْا عَلَيْهِ، قَالَ : ((رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَا وَالنَّسِيَانُ وَمَا أَكْرَهُوْا عَلَيْهِ)), وَهَذَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - طَلَبَ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ، فَقَارَبَ أَنْ يَقُولَهَا أَوْ قَالَ بَعْضَ مَا طَلَبُوهُ، فَرَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ الْحَرَاجَ، وَقَدْ شَكَّا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: كَيْفَ تَجِدُ قَلْبِكَ؟ قَالَ: مُطْمَئِنًا بِالْإِيمَانِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ : ((إِنْ عَادُوا فَعُدْ))، يَعْنِي إِنْ عَادُوا إِلَى إِكْرَاهِكَ لِتَقُولَ مَا يُرْضِيْهِمْ؛ فَعُدْ أَنْتَ إِلَى تَكْرَارِ مَا قُلْتَهُ، فَالْمَدَارُ عَلَى النِّيَّةِ، وَالسَّرِيرَةِ وَالْطَّوِيَّةِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ شَرْحِ الصَّدْرِ الْعِلْمَ، فَكُلُّ عِلْمٍ نَافِعٌ لِأَهْلِهِ يَشَرِّحُ الصَّدْرَ وَيُوَسِّعُهُ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ الْعَالَمِينَ هُمْ أَشْرَحُ النَّاسِ صَدْرًا وَأَوْسَعُهُمْ قَلْبًا، وَأَحْسَنُهُمْ أَخْلَاقًا وَأَطْيَبُهُمْ عِيشًا، وَكَيْفَ لَا يَنْتَشِرُ صَدْرٌ مَنْ سَهَلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَحَفَّتُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا؟ فَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَالِ الْمُرَادِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: ((أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ مُتَكَبِّرًا عَلَى بُرْدَ لَهُ أَحْمَرَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِطَالِبِ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ تَحْفَهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنَحَتِهَا مِنْ مَحَبَّتِهِ لِمَا يَطْلُبُ)). إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوَسِّعُ صَدْرَ كُلِّ عَالَمٍ عَامِلٍ، يَقُولُ الرَّسُولُ : ((مِثْلُ مَا بَعَثْتَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمِثْلِ غَيْثِ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبَّلَتِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعَشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا

النَّاسُ، فَشَرَبُوا مِنْهَا وَسَقَوَا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً أُخْرَى مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُتَبَّتُ كَلَّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعْثَيَ اللَّهُ بِهِ فَعَلَمَ وَعَلَمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبِلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلَتْ بِهِ)، إِنَّ الَّذِي يَسْمَعُ مَقَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ فَيَحْفَظُهَا وَيَعْيَاهَا، وَيُبَلِّغُهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعَهَا؛ دَعَا لَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِنَضَارَةِ الْوَجْهِ، وَنَضَارَةِ الْوَجْهِ دَلِيلُ انشِراحِ الصَّدْرِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: ((نَصَرَ اللَّهُ امْرًا سَمِعَ مَقَالَاتِي؛ فَحَفَظَهَا وَوَاعَاهَا، وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ يَسْمَعَهَا))، وَهَنَى تَشْرِحَ الصُّدُورُ وَتَتَسَرَّ الأُمُورُ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ بَعْضَ الْأُمُورِ، وَفِي مُقْدِمَتِهِ الْزِيَادَةُ مِنَ الْعِلْمِ، فَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا))، وَكَانَ يَقُولُ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلاً مُتَقَبِّلًا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمَنْ قَلْبٌ لَا يَخْشَعُ، وَمَنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمَنْ دُعَاءٌ لَا يُسْمَعُ)).

أَئُمَّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّكُمْ إِذَا أَرَدْتُمْ شَرْحَ صُدُورِكُمْ وَتَسْيِيرَ أُمُورِكُمْ؛ فَلَيْسَ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ وَالتَّنَعُّمِ بِعِبَادَتِهِ شَيْءٌ يُحَقِّقُ هَذَا الْأَمْلَ، وَلِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي انشِراحِ الصَّدْرِ وَطَيِّبِ النَّفْسِ وَنَعِيمِ الْقَلْبِ، وَبَقْدَرٌ مَا تَكُونُ مَحَبَّةُ اللَّهِ يَكُونُ انشِراحُ الصَّدْرِ، وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُحِبًا لِرَبِّهِ بِكُلِّ قَلْبِهِ، وَقَدْ جَرَى حُبُّ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ مَجْرَى الرُّوحِ وَالدَّمِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَتَذَذَّدُ وَيَنْشِرُ صَدْرُهُ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، فَكَانَ يَقُولُ: ((جُعِلْتُ قُرَّةً عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ))، وَمَنْ وَسَائِلُ شَرْحِ الصَّدْرِ الْمُهِمَّةُ ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، لِذَلِكَ أَمْرَنَا اللَّهُ بِهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ رَبَّهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، وَكَانَ يَنْصَحُ أَصْحَابَهُ بِذِكْرِ اللَّهِ، لَأَنَّ ذِكْرَ اللَّهِ يَجْعَلُ الْمَرءَ بِمَعِيَّةِ اللَّهِ، وَمَاذَا يُنْتَظِرُ مِنْ إِنْسَانٍ مَعَهُ رَبِّهِ إِلَّا انشِراحُ صَدْرِهِ، وَرِفْعَةُ قَدْرِهِ، وَتَسْيِيرُ أُمُورِهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدُّسِيِّ: ((أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْنِي))، وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ؛ فَأَخْبَرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ - أَيُّ أَسْتَمْسِكُ - بِهِ؟ قَالَ: ((لَا يَرَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ))، وَكَيْفَ لَا يَنْشِرُ صَدْرُ إِنْسَانٍ شَمَلَهُ اللَّهُ بِثَوَابِهِ، وَأَنْجَاهُ مِنْ عَذَابِهِ؟ وَلَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أَشْرَحَ النَّاسَ

صَدْرًا، وَأَرْفَعُهُمْ قَدْرًا؛ لَأَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ لِسَانًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا شَاكِرًا، وَكَانُوا يَعْدُونَ لَهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ مائَةَ مَرَّةٍ: ((رَبُّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ)).
 فَاقْتُلُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - وَوَحْدَوْهُ، وَأَتُوْلُوا عَلَيْهِ وَمَجْدُوهُ، وَكُونُوا لَهُ مِنَ الْذَّاكِرِينَ، وَلَنْعَمَهُ مِنَ الشَّاكِرِينَ؛ تُرْزَقُوا شَرْحَ الصَّدْرِ وَرَفْعَةَ الْقَدْرِ.
 أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُ الْكَرِيمُ.

*** * *** *

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، شَرْحَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَقْبِيلَ عَمَلِ الْمُتَقِّينَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَظَمَ أُمُورَهُمْ بِحِكْمَتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، خَيْرُ مَنْ أَنَابَ إِلَى اللَّهِ وَتَابَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيَاتُهُ وَرَزْقُهُ حُسْنَ الْمَآبِ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَاحِبِهِ وَالْتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَّا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مِمَّا يُحَقِّقُ لِلنَّاسَ شَرْحَ الصَّدْرِ إِحْسَانَهُ إِلَى النَّاسِ، وَنَفْعَهُمْ بِمَا يُمْكِنُهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لَأَنَّهُ كَرِيمٌ، وَالْكَرِيمُ يُحْسِنُ إِلَى النَّاسِ وَلَا يُسِيءُ إِلَيْهِمْ، وَكُلُّمَا زَادَ كَرَمُهُ اتَّسَعَ شَرْحَ صَدْرُهُ، وَذَلِكَ بِخِلَافِ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ بِبُخْلِهِ يَكُونُ أَضَيقَ النَّاسِ صَدْرًا، وَأَنْكَرُهُمْ عِيْشَاً، وَأَعْظَمُهُمْ هَمًا وَغَمًا، وَقَدْ ضَرَبَ الرَّسُولُ ﷺ مَثَلًا لِلْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ، فَهُمَا كَرَجَاهُنَا عَلَيْهِمَا جُنَاحَنِ مِنْ حَيْدِ، كُلُّمَا هُمْ الْمُتَصَدِّقُ بِصِدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى يَجْرِيَ ثِيَابُهُ وَيُعْفَى أَثْرُهُ، وَكُلُّمَا هُمْ الْبَخِيلُ بِالصِّدَقَةِ لَزَمَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا وَلَمْ تَتَسْعَ عَلَيْهِ، فَالْكَرِيمُ يُعْطِي وَالْبَخِيلُ يَمْنَعُ، وَالْمُؤْمِنُ الْمُتَصَدِّقُ يَتَسَرَّحُ صَدْرُهُ وَيَنْفَسِحُ قَلْبُهُ، وَالْبَخِيلُ يَضِيقُ صَدْرُهُ وَيَنْحَصِرُ قَلْبُهُ. وَمَنْ أَعْظَمَ أَسْبَابَ اتَّسَاعِ الصَّدْرِ إِخْرَاجُ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ دَخْلٍ وَمَا يَعْتَوِرُهُ مِنْ بُغْضٍ وَخَلَلٍ، فَمَنْ تَخَلَّقَ بِالْأَخْلَاقِ الرَّفِيعَةِ وَأَحَبَّ النَّاسَ مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ؛ اتَّسَعَ صَدْرُهُ، وَأَبْتَسَمَ لِلنَّاسِ شَغْرُهُ، أَمَّا الَّذِي تَخَلَّقَ بِالصِّفَاتِ الْذَّمِيمَةِ وَالْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ؛ فَإِنَّهُ يَظْلِمُ كَاسِفَ الْبَالِ، سَيِّئَ الْحَالِ، يَجِدُ سَعَادَتَهُ فِي النَّمِيمَةِ وَسُوءِ



الأخلاق، ومن ثم لا يوجد في صدره انشراح على الإطلاق، يقول الرسول ﷺ : ((إنَّ أَحْبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ الْمُشَاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرَّقُونَ بَيْنَ الْأَحَبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَاءِ الْعَيْبِ))، ومن وسائل انشراح الصدر غض البصر ولين الكلام وكل خلق فاضل، فعن النواس بن سمعان - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: ((البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس)).

فأنتقاوا الله - عباد الله -، واذكروه كما هداك، وتمسكوا بمكارم الأخلاق، وأرووا الله من أنفسكم خيراً، وأصلحوا سريرتكم؛ يصلاح الله علانيتكم.

هذا وصلوا وسلموا على إمام المسلمين، وقاد الغر الممحجين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاوة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليماً: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَكَانُهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا»^(١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسِّلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسِّلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلْفَائِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَا مَعْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اجْعُلْ جَمِيعًا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعُلْ تَفْرُقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفْرُقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيقًا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالنُّقْيَ وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًا مِنَ لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقُلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا

طَبِّيْا وَاسْعَا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعْزَزْ إِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوقَهُمْ، وَأَجْمَعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ،
وَأَكْسِرْ شُوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبْ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعْزَزْ سُلْطَانَنَا وَأَيَّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيَّدْهُ بِهِ الْحَقُّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقَنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْذَّاكِرِينَ لَكَ فِي الْلَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبِنَا بَعْدِ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ.

رَبَّنَا ظَلَمَنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.